# التعليم الالزامى الناقص
## وضرره الذى يلحق الامة

بقلم مدام دى سان بوان
رئيسة تحرير مجلة فينكس

---

من الناس من يغتر بلفظة التعليم والمنهاج الخلاب الذى يضعونه له ، والخيالات الجذابة التى يؤسسون فكرتهم عليها ، وكيف لا يكون خلاباً ذلك المنهاج الذى يبيد الأمية ويمحو أثرها من سجل الوجود ؟ الحق أنه مضر جداً ذلك التعليم الذى يزعم أنه يدعو الى إطلاق العقول بدون تفريق — بين غبيها وذكيها — الى توسيع المدارك بتعلم القراءة والكتابة .

أجل . إنه لمضر جداً ذلك المنهاج الذى غرتنا طلاوته كما غرتنا مئات الدعوات الى الولائم وكانت نتيجتها الخيبة والفشل .

لنأخذ فى سبيل تبيان مساوئ ذلك المنهاج وعيوبه ، فنرى أن المدنية الحديثة لا تفرق بحال ما بين الذكاء والادراك بالمعنى الدقيق ، وهو ما يجب أن يعرفه الجميع ، فالادراك بالغاً ما بلغ من القوة لا يستطيع بحال ما استئصال شأفة ما كمن فى النفوس من غرائز طبيعية أو طبائع بشرية ، بل أكثر من هذا نرى أن الادراك كثيراً ما عرقل القوى الحماسية وهد من قوى الشعور الانسانية ، وقلل من شأن الملاحظات الهامة .

ونحن إذ نحاول المقارنة الصحيحة بين الأميين و ( المتعلمين ) فى عرف ذلك المنهاج ، لرأينا البون شاسعاً والفرق بعيداً ولخرجنا بنتيجة سيئة ، ولكنها بكل أسف صادقة إذ يثبت لنا تمام الاثبات أن الأمى يفوق مناظره ويبذه فى مضمار العمل الحر ، وما ذلك الا لأن الامى يعتمد على ماوهبه الله من قوى طبيعية ، وما أعده له من استعدادات شخصية مستعيناً بوجدانه الحى ، وغريزته النقية وادراكه الفطرى الذى لا تعلق به شائبة ، فى الوقت الذى يعتمد فيه مناظره على ماتلقنه من مبادىء مصطنعة وعرفه من معارف واهية لا تقوم على دعامات صحيحة أو أسس متينة وانما تقوم على زخارف من القول وترهات من الاباطيل .

أضف الى كل ماتقدم أن الأمى كثيرا مايكون بعيداً عن محيط الحياة الذى يعج بالشرور البشرية والمساوىء الانسانية ، الامر الذى يسوقه الى السير فى عجلة حياته على وتيرة واحدة وطراز واحد لاينحرف عنه ذات اليمين ولا ذات الشمال ، وهذا يكسبه جلداً وصبرا وقوة على الكدح والسعى واكتسابا للمران ودراية ، بعيداً عن الثوغاء والضوضاء ، نائياً عما تحتمه تقاليد المدنية الكاذبة ويفرضه منطق العصر الحديث الخلاب .

وأنت اذا رجعت الى هذا ( المتعلم ) وبمعنى آخر الى هذا الجاهل حقاً ، لرأيت ثم رأيت زهوا كبيراً وشراً مستطيراً ، وغرورا زائدا وصلفاً سائدا ، وليت الامر يقف عند هذا الحد بل هناك ماهو أدهى وأمر ، فمن سوء فى النية الى غدر فى الطوية ، ومن انكار لحقوق الاقربين الى اجحاد لواجبات الآخرين ، ومن بلاء يلحق المجتمع بسببه الى سوس ينخر فى الامة بعمله ، وأنت بين هذا وذاك ملاق بين الامرين داهية دهماء لا تبقى ولا تذر .

فقل لى بربك ماذا تستفيد الامة من هذا الذى يخرج على تقاليد بيئته أوذاك الذى يتنكر أساليب أسرته ؟ وما من ذنب لتلك البيئة أوجريرة لهذه الاسرة الا أنها نشأت فى طهارة الامية وفى نقاء التقاليد الدينية ، وما من شك فى أن العقل أو القلب الامى الذى لم تندس فيه خبائث المجتمع ، ولم تختلط به موبقات الآراء الحديثة أقرب الى الله وأشد اتصالا بعالم الروح من ذلك الذى وقفت التعاليم العرجاء والمعارف البتراء حاجزاً منيعاً بين قلبه وربه وسداً عتيداً بين وعقله ودينه .

كما أنه ليس من شك فى أن اتصال هذا (المتعلم) بقراءة الصحف اليومية التى تثير الشغف حول المجادلات السياسية ، والتى تفيض أنهارها بالروايات القصصية والمهازل التمثيلية ، لمن أكبر الدواعى وأنهض الادلة على أن ما يعلق بذهنه من آثار سيئة يجعله بعيدا كل البعد عن أن ينتج انتاجا صحيحاً أو يعمل عملا نافعاً .

قد يزعم البعض بأن الامى يعجز عن ابراز ماتضطرم به نفسه فى صورة بيانية صادقة أو التعبير بما يختلج فى خلجات وجدانه بعبارات منطقية صحيحة ولكن الادلة الناصعة والبراهين الناطقة والاختبارات الصحيحة أثبتت لنا اثباتاً لايدخله الشك ولايتأدى اليه الوهن ، أن الأمى أقدر على امتلاك ناصية القول وأبلى فى انتقاء دقيق الألفاظ وصحيحها ، فى التعبير بلغة ساذجة ، لا أثر للتعمل أو التكلف فيها عن أصدق الاحساسات وأدق

المشاعر . أضف الى هـذا أيضا ، أن زميله « الالزامى » لا يستطيع بحال ما التعبير بتلك البلاغة التى يطلبون .

قد يعترضنا معترض فيقول : كيف تدعين الى الأمية ونحن أمة لها ماض مجيد وتاريخ تليد وعلم عتيد ؟

ونحن نقرر بأن هـذا كله حق ، لـكن اذا كان الاعتراض وجيها فانه عند التحقيق باطل ظاهره الحق ، مثله مثل الشرير يلبس مسوح الوعاظ ، وأنت اذا تغلغلت الى أعمق الأمور ، وسبرت غور الحقائق بمسبار اليقين ، تجلى لك الحق واضحاً جلياً .

فأما الرد ، وأما دفع البهتان بالبرهان وقرع الحجة بالحجة فأمر فى منتهى السهولة لا يحتاج الى كثير تحقيق وتعقيد تدقيق . وهل أحق بالدليل يدحض الدليل وألصق بالبرهان يقرع البرهان ، من القول بأن التعليم الأبتر الذى ينتج هذه الشرور والآثام جدير بأن ينمحى ويموت وتفضله الأمية ، اذا كان ولا بد من هذا البلاء المحتم ؟

*
* *

يجب أن يتعلم الانسان تعلما حقاً بكل معانى الـكلمة ليستطيع أن يهذب نفسه ، والا فالأمية خير وأفضل .

وهذا التعليم الذى نقصده يجب أن يفرق بين نوعى العلم والمعرفة وأن يقيم بينهما الحدود والأوضاع ، لتتأدى الى كل منهما معانيه الحقة ومدلولاته الصادقة .

على أنه مما يؤسف له أنه قد أصبح شائعاً بين الناس ذلك الصنف الذى يعتقد أن مجرد قراءته للروايات أو المذكرات أو الصحف كاف لوضعه فى صف المتعلمين المثقفين .

والتعليم الذى لا يكوّن شخصية بالغاً ما بلغ من قوة التماسك ليس فى الاستطاعة مطلقاً أن يؤدى الى نتيجة ما ، مالم يستند الى الدين والأخلاق الصحيحة .

وأخيرا فان الادراك غير الذكاء ، اذ الأول نتيجة التلقين ، أما الثانى فنتيجة الغريزة . وهذا ما سأتكلم عنه فى المستقبل ؟

ف . دى سان بوان